

فلسفة المرض وإحياء العلاج في الجزائر: رصد نماذج تاريخية ونموذج الجزائر

العمري حريوش*

المخلص

لا شك أن التطورات السريعة التي شهدتها العلوم وبالأخص الطب والبيولوجيا Médecine et Biologie ، مكنت الإنسان معرفيا من خلال الكشف عن أسرار الحياة ، كما مكنته عمليا من التحكم في كثير من الأمراض وبالتالي علاجها ، وذلك بتوظيف الكثير من التقنيات. إلا أن هذه الأخيرة (التقنيات) تثير مشكلات أخلاقية ودينية واجتماعية وقانونية وحتى سياسية ، لما تفرزه من نتائج لم يستطع البعض الحكم عليها لتعقيدها. ولما كانت نتائج البحوث الطبية والبيولوجية تعود على كل إنسان ، كان لا بد من الاعتقاد بأن الجزائر معنية هي كذلك ومشاركة أحيانا في صنعها. من هنا ، ضرورة التفكير في هذه التطبيقات العلاجية ، والحكم عليها انطلاقا من منظومة القيم التي لدينا الأخلاقية والاجتماعية ، سواء في إطار ما يسمى بأخلاقيات الطب Déontologie Médicale أو في إطار ما يسمى بالأخلاق الحياتية أو بالبيواثيقا La bioéthique التي نعتبرها غائبة في بلدنا.

الكلمات المفتاحية: الطب ، البيولوجيا ، المرض ، التقنيات الطبية ، الديأنطولوجيا (أخلاقيات الطب) ، البيواثيقا

Résumé

Le développement rapide de la science, en particulier la médecine et la biologie ont permis le contrôle et le traitement de certaines maladies par l'emploi de beaucoup de techniques. Toutefois, celle-ci (la technique) soulève des problèmes moraux, religieux, sociaux, juridiques et mêmes politiques. Et puisque les résultats de la recherche médicale ou biologique sont destinés à tout être humain, et que les résultats produits ne peuvent être jugés pour leur complexité, nous sommes convaincu que l'Algérie devait être concernée par ce qu'elle participe parfois à leur fabrication, d'où vient, la nécessité de penser de ces techniques doit être jugée, à partir de notre système de valeurs morale et sociale, à la fois dans le cadre de la déontologie médicale ou dans celui de La bioéthique considérée absente dans notre pays.

Mots clés: Médecine, Biologie, Maladie, Techniques médicales, Déontologie médicale, Bioéthique

Summary

Undoubtedly, the rapid progress and development of sciences and, especially Medicine and biology, enabled Man not only to uncover life's secrets, but also to overcome and treat many diseases as well by means of various techniques. However, these techniques gave rise to many religious, moral, social, legal and political polemic issues. Since the results of medical and biological research affect every human being, Algeria also is concerned. Therefore, it has to think about these new applications and their implications within our system of medical ethics, commonly referred to as Bioethics, unfortunately missing in our country.

Keywords: Medecine, Biology, Diseases, Medical techniques, Medecale Deontology, Bioethic.

*أستاذ محاضر ب، عضو في فريق بحث Cnepru أستاذ البيولوجيا العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية جامعة محمد المين دباغين سطيف 2

مقدمة

أضحى التفكير حول قضايا العلم ونتائجه يفرض نفسه في راهن الفكر العلمي والفكر الفلسفي على حد سواء. وهذا يؤكد في كل مرة، مشروعية هذا التفكير حول الواقع وما يفرزه من مظاهر وصور متنوعة تتعلق بالفرد والمجتمع والعالم. فقد أصبح الإنسان يمثل الإشكال الأكبر، خصوصا ما يتعلق بحياته وطريقة عيشه، لذلك كانت العلوم البيولوجية والطبية في صميم اهتمامات الباحثين. ذلك أن استقراء تاريخ الطب يُظهر حقيقة لا يمكن نكرانها وهي ظاهرة تلفت الانتباه، ويتعلق الأمر بتحول الكثير من الأطباء والبيولوجيين إلى فلاسفة خاصة خلال القرن الثامن عشر. سواء من خلال المذهب الحيوي الذي طوره علماء مدرسة مونتبلييه Montpellier الفرنسية، أمثال الطبيب الفرنسي بارتيز Paul Joseph Barthez (1734-1806م) وبوردو Théophile de Bordeu (1722-1776م)، أو فلاسفة مذهب الحياتية، أو الإحيائيون، أمثال ادوارد تايلور Edward B. Tylor (1832-1917م). وآخرون معاصرون أمثال الطبيب والفيلسوف الفرنسي جورج كانغيلهم Georges Canguilhem (1904-1995م)، وكذا تلميذه الطبيب والفيلسوف والإبستولوجي فرانسوا داغوني François dagognet 1924م، وغيرهم كثيرون.

والسؤال المطروح هنا ما هو الدافع إلى هذا التحول، أليس لأنهم لم يجدوا إجابات عن بعض الأسئلة؟ مثل: ما الحياة؟ أم كيف يمكن التجريب على الإنسان مع الحفاظ على كرامته وحرية؟ أسئلة لم يجد لها الطبيب ولا البيولوجي إجابة في العلم فلجأ إلى الفلسفة.

لا شك إن التطورات السريعة التي شهدتها العلوم وبالأخص البيولوجيا والطب Biologie et Médecine، مكنت الإنسان من الكشف عن البنية ووظائف العضوية، كما مكنته عمليا من خلال التحكم وعلاج الكثير مما يتعرض له الإنسان من أمراض، وذلك بتوظيف الكثير من التقنيات التي عملت العلوم الأخرى على تطويرها كالفيزياء والكيمياء. إلا أن كثيرا من التقنيات العلمية المختلفة، التي توظفها البيولوجيا والطب، يثير مشكلات وتساؤلات أخلاقية ودينية واجتماعية وقانونية وحتى سياسية، لها تفرزه من نتائج لم يستطيع البعض الحكم عليها لتعقيدها.

ولمّا كانت البحوث الطبية والبيولوجية تسعى إلى حفظ الحياة، وإطالتها، واستقرارها، كانت نتائجها الناجعة تعود على الإنسان، وكل إنسان، أي نتائج عابرة للحدود،

وكان لا بد آنذاك من الاعتقاد أن كل الناس معنيين بهذه النتائج وما تشهده هذه العلوم من تطور. وتصبح بذلك الجزائر معنية هي كذلك ومشاركة أحيانا في صنع هذه النتائج. سواء على المستوى المعرفي أو المستوى التطبيقي. من هنا، يحق لنا التفكير في كيفية التعامل مع هذه الممارسات وهذه التطبيقات أو التقنيات العلاجية، بالاستناد إلى مجموعة من المعايير في الحكم عليها انطلاقا من منظومة القيم لدينا الأخلاقية والاجتماعية، سواء في إطار ما يسمى بأخلاقيات الطب Déontologie Médicale أو في إطار ما يسمى في الغرب بالأخلاق الحياتية أو بالبيواطيقا La bioéthique. على هذا الأساس يعرض البحث مقارنة إبستيمولوجية حول المرض، ويتعرض للبعد الإطقي للممارسة الطبية في الجزائر، ويحاول الإجابة عن مجموعة من الأسئلة منها:

- ما هي مبررات التفكير حول المرض والمسائل العلمية خاصة منها البيولوجية والطبية؟
- هل هناك اعتبار ومراعاة للبعد الأخلاقي في الممارسة البيوطبية Biomédicale في الجزائر؟
- هل يمكن الحديث عن بيواطيقا جزائرية؟

1- المرض والطب

لا بد من الإشارة إلى أن الطب La médecine هو أقدم نشاط إنساني، لأنه يرتبط بأقدم ظاهرة يتعرض لها الإنسان وهي المرض La maladie، وهذا الأخير يستدعي العلاج، الذي لم يكن في نظر القدامى إلا مظهرا من مظاهر العقيدة الدينية، وفي الوقت نفسه كان مهزوجا بالسحر والشعوذة. ولذا كان الطب ميزة من كانت له القدرة الخارقة على الدخول في علاقة مع القوى الماورائية. وقد بقيت هذه المظاهر إلى اليوم في بعض التجمعات البشرية البدائية، وفي بعض الأماكن المتخلفة أو المنعزلة. لكن، بواور التفكير العلمي والطبي المنظم كان مع الحضارات القديمة أهمها اليونانية، والإسلامية أين كان الطب فيها من أهم الصناعات. لذلك يمكن أن نستنتج دون الدخول في التفاصيل (لأنه غير ممكن الإلهام بها في هذه الدراسة) أن منذ فجر الإنسانية لم تكن الممارسات الطبية تخلو من آداب التعامل مع المريض، وهذا يجعل من الطب يتصف بأخلاقيات تلزم من كانت له القدرة على شفاء الناس، وقد ظلت هذه الأخلاقيات ملازمة للممارسة الطبية إلى اليوم. ولكن تطور الطب وأساليب العلاج، وتغير علاقة الطبيب بالمريض، يكون قد غيّر من مضامين هذه الآداب، بحيث لم تبقى

لقد كانت هذه الحقيقة بالنسبة إليه ، دافعا لمواجهة تحديات الوجود الذي يعترضه أو يفرض عليه محيطه ، دون خسائر كثيرة.² لا شك أن الأبعاد الفلسفية والأنطولوجية ، والاجتماعية وحتى السياسية ، للمرض هي التي تجعل من الطب قابلا للتناول الفلسفي الإستمولوجي.

لقد تحدث الكثير من الفلاسفة ، والفلاسفة الأطباء عن المرض بشكل دقيق وبيّنوا صعوبة ضبط مفهومه. ففي أول الأمر يعتبر الإنسان أكثر عرضة للمرض لأنه أكثر هشاشة من الحيوان والنبات على العموم. ثم يطرح تساؤل: ما معنى أن أكون مريضا؟ إن أغلب المنظرين ينظرون إلى المرض نظرة سلبية. ومن هؤلاء العلماء ، نجد ف. بروسايه Broussais François (1772-1838م) الطبيب الفرنسي. الذي لا يرى في المرض إلا مبالغة في وظيفة فيسولوجية وأحيانا ، يمثل نقص في هذه الوظيفة. وبالتالي ، كان الطبيب بروسايه يحاول تقريب المفهومين اللذين كانا متميزين وهما يشكّلان أهم الفروع سواء بالنسبة للبيولوجيا أو الطب وهما: الفسيولوجيا La Physiologie (علم وظائف الأعضاء) وهو أهم فرع من فروع البيولوجيا. والباثولوجيا La Pathologie (علم من العلوم الطبية التي تهتم بدراسة أسباب وأعراض المرض) وأهم فرع من فروع الطب. أما إذا تناولنا علم الأجنة الممسوخة والمخلوقات الغريبة La Tératologie فإن هذا العلم لا يطلعنا إلا على المراحل التي يمر بها الجنين لأن الوحشية (المخلوق الغريب) تكمن في توقف نمو الجنين ، ولكن الوحش لا يُظهر شيئا إلا ماضي الجنين.³

ومن الذين تحدثوا عن المرض والصحة جورج كانغيلهم في كتابه "الصحي والمرضي" Le Normal et le Pathologique بحيث يعتبر أن الكائن الحي (الإنسان خاصة) هو الكائن الوحيد الذي يحتاج إلى معيار Norme ، ذلك لأنه الوحيد الذي يمكن أن يكون في حالة الصحة⁴ أو حالة المرض أو حالة بينهما. ولا نجد ذلك في الظواهر الطبيعية الفيزيائية أو الكيميائية أو حتى في ظواهر المادة الحية التي تؤوّل تأويلا علميا حسابيا أو كيميا ، مثلما هو معمول به في الفسيولوجيا.

يعتقد كانغيلهم أن حالة المرض أو حالة اللاسوي ، ليست حالة خالية من كل ما هو سوّي أو عادي ، بل أن المرض هو مقياس أو معيار للحياة ، ولكنها حالة أقل مستوى ، لأنها من جهة ، لا تطبق أي وضعية أخرى خارج الشروط التي تحدد قيمتها ، ومن جهة أخرى ، غير قادرة على التحول إلى

خاضعة لتلك العفوية ، بل أصبحت تتجلى في شكل قواعد وقوانين على الطبيب احترامها طوعا أو كرها. ومن جهة أخرى تطور المجتمع وظهور طرق جديدة للتعامل مع المرض باستعمال التقنية ، ولد ردود فعل مُنظمة تحت مفاهيم جديدة مثل مفهوم البيواطيقا Bioéthique

وحتى نميز بين ما يشير إليه هذا المصطلح الأخير وما تنص عليه آداب التعامل مع المريض ، أو ما يسمى بأخلاقيات الطب Déontologie¹ يتعين علينا الحديث عن المفهومين من الوجهة التاريخية.

2- المرض والأخلاق الطبية في الحضارات القديمة (اليونانية والإسلامية)

كون موضوع الطب هو المرض أو الصحة عموما ، والمرض خطر على الحياة والإنسان. أدى هذا إلى إعطائه العناية التامة في مجال التفكير الفلسفي ، خاصة منه الأخلاقي. سواء من خلال التعامل مع المرض أو التعامل مع المريض كإنسان ، ذلك أن الإنسان والحياة والموت ، من الموضوعات التي اشتغل بها الفلاسفة منذ نشأة التفكير الفلسفي إلى اليوم. وهذا يبرز دون شك ذلك الارتباط الوثيق بين الطب والفلسفة وارتباطهما بالأخلاق. خاصة إذا علمنا أن الأخلاق هي القسم الأساسي في الفلسفة ، وهي مرادفة لها ببعض المعاني.

على الرغم من اهتمامات الطب الكثيرة كالحياة ، والموت ، والصحة والمرض وغيرها ، إلا أنه لا يُطلب منه إطالة الحياة وتجنب الموت. كما لا يُطلب منه حفظ الصحة لأن هناك طرقا كثيرة لحفظها ، من تغذية ورياضة والبيئة الملائمة. من هنا يبقى المرض La maladie هو المجال الأهم في النشاط الطبي معرفة كان أم تطبيقا ، ولذا يشكل الموضوع المحوري في كل نقاش فلسفي نظري أو إستمولوجي. وما يبرز ذلك أكثر هو تعريف الطب ، فقد جاء في مقدمة "معجم الفكر الطبي" لدومنيك لوكور Dominique Lecourt تعريف الطب في قوله: <<الطب هو علم الأمراض>> Science des Maladies. المشكلة هي أن المرض في حد ذاته أمر ليس من السهل بيانه وضبط تعريفه لأنه يقترب بكلمة Mal وتعني ألم ، ضرر ، أذى ، سوء ، ألم...إلخ. والخصوصية أو الفردية التي يتصف بها المرض ، قد لا تجعل من الطب ذلك العلم الدقيق ذا القوانين القابلة للتعميم. ثم إن الأمراض لا تعتبر مجرد حوادث فيزيائية (طبيعية) ، ولكنها بالنسبة للإنسان مأساة تاريخه ، والتي بواسطتها أدرك أنه فان أو قابل للموت.

الخير والشر، وما الأمراض إلا دلالة على سخطها الذي تقصر عنه الأفهام. والطبيب بهذا المعنى "كاهن"، مع أنه يبدو منفصلا عنه في عمله. والأرجح، أنهما كانا يعملان معا، الطبيب الكاهن، والكاهن الطبيب.⁹

أما في حضارة فارس فقد كان القانون ينص على أن يعالج الكهنة من غير أجر وكان يطلب إلى الطبيب الناشئ عند الفرس أن يبدأ حياته الطبية بعلاج الكفرة والأجانب. إذ يقضي الطبيب المقيم سنة أو سنتين في الممران على أجسام المهاجرين والفقراء لذلك قضى ربّ النور نفسه إذ قال: "يا خالق الكون يا قدوس، إذا أراد عبد من عباد الله أن يمارس فن العلاج فأني الناس يجب أن يجرب فيهم حذقه؟ أيجربه في عباد أهورا-مزدا، الإله الحكيم، إله الفرس أم في عبدة الشياطين؟ فأجاب أهورا-مزدا بقوله: >>يجب أن يجرب نفسه في عبدة الشياطين لا في عباد الله. <<¹⁰ نفهم من هذا النص أنه إذا وفق الطبيب في علاج عبدة الشيطان وأحسن معهم العمل بالرغم من كونهم كذلك أي عبدة الشيطان، فلا شك أنه يوفق وبشكل تام في علاج عباد الإله أهورا-مازدا.

(أ) الممارسة الطبية الأخلاقية عند اليونانيين

من أهم الحضارات التي انتظم فيها التفكير بشكل واضح، الحضارة اليونانية. ذلك أن اهتمام الفلاسفة اليونانيين بالبحث في الطبيعة، وفي المبادئ التي يمكن من خلالها فهم وتفسير الظواهر الطبيعية. جعل منهم فلاسفة وعلماء في الوقت نفسه، ولعل هذا ما يبرر قول البعض منهم، وهم يجيبون عن السؤال الأنطولوجي "ما هو أصل الوجود" بأن الأصل هو الماء، لأن كل شيء يرتد في الأخير إلى الماء، وقول بعضهم بأن أصله

هو التراب لأن كل شيء يتحول في النهاية إلى تراب، وقول لآخرين بالهواء أو النار كأصل للكون وهي كلها محاولات رد شتات الظواهر الطبيعية

إلى المبدأ الواحد. وفي النهاية يبدو أن الأمر استقر على اعتبار العناصر الأربعة (الماء، التراب، الهواء، والنار)، كلها مكونات لجميع الأجسام على الأرض بما في ذلك جسم الإنسان.¹¹

هذه الفكرة تبنتها فيما بعد المدرسة الطبية التي تنسب إلى أبقرات¹² Hippocrate وهيمن أبرز المدارس الطبية التي نضج فيها الطب في العهد اليوناني، وتسمى مدرسة كوس Cos.¹³ يقوم مذهب أبقرات على نظرية الفيزيس Physis، من أهم المفاهيم في الفلسفة اليونانية، وقد ترجمه الرومان إلى

حالة أو معيار آخر. ومنه فإن الكائن الحي (الإنسان) المريض منسجم في إطار الشروط المحددة لوجوده، وقد ضيع القدرة المعيارية السوية، وبالتالي ضيع القدرة على إنشاء وضعيات أخرى في شروط أخرى.⁵

من الذين تحدثوا عن المرض الطبيب الأمريكي هولينغس جاكسون Hughlings J. Jackson (1835-1911م) الذي يرى فيه عودة إلى الأفعال البسيطة والحركات البدائية الأوتوماتيكية (الآلية). فالمصاب بالأفازيا (الخُبسة) Aphasia (فقدان القدرة على التعبير بالكلام أو بالكتابة أو هي عدم القدرة على فهم الكلمات المنطوق بها)، لا يستطيع التلفظ بكلمات لغته لكن يهذي ويستعمل كلاما غير مفهوم في موضع الكلام الصحيح. حتى علماء النفس شاركوا بنظرتهم في هذا الموضوع واعتبروا المرض خللاً في التوازن. مهما كانت الآراء حول هذا الموضوع فالمرض في نظر البعض لا يعلمنا شيئاً إلا خلا في وظيفة من الوظائف، سواء ضعفاً أو مبالغة فيها، بعد تحرير ما كان مراقباً وممنوعاً.

من جهة أخرى مر الطب وهو علم الأمراض، بمراحل كثيرة قبل أن يصل إلى ما هو عليه اليوم، اختلفت فيها نظرة الفلاسفة والفلاسفة له. ففي الحضارة البابلية (ألفي سنة قبل الميلاد أو أكثر بقليل) نشأت مهنة منتظمة للأطباء ذات أجور وعقوبات يحددها القانون، فكان المريض الذي يستدعي طبيباً لزيارته يعرف مقدماً كم من المال يجب عليه أن يؤديه نظير هذا العلاج أو ذاك، ونظير هذه الجراحة أو تلك، وإذا كان هذا المريض من الفئات الفقيرة نقص الأجر لكي يتناسب مع فقره، وإذا أخطأ الطبيب أو أساء كان عليه أن يؤدي للمريض تعويضاً.⁶ أعظم وثيقة تتعلق بالطب البابلي هي قانون حمورابي.⁷ إلا أن هذا القانون لا يتحدث عن الأطباء الباطنيين، بل عن الجراحين فقط، لأن الطبيب الباطني كان شخصاً مقدساً، أما الجراح فكان صاحب حرفة. ومن بعض المواد من هذا القانون: المادة (215) -إذا أجرى جراح عملية كبيرة لنبيل من النبلاء بمبضع من البرونز. وأنقذ حياة النبيل، أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء بمبضع من البرونز، وأنقذ عين النبيل، يأخذ عشرة (شيقلات) من الفضة أجرة له. وتذكر المادة (218) أنه إذا أجرى جراح عملية كبيرة على رجل شريف بمبضع من البرونز. وتسبب عن ذلك موت النبيل، أو إذا فتح محجر عين نبيل من النبلاء، وتسبب عن ذلك في تلف العين فتقطع يد الجراح. ويمتلى الطب البابلي بالتعاويد، لكونه ثيوقراطياً⁸ Théocratique فالآلهة هي خالقة

معه للطبيعة تحقيق قوتها الشافية... فواجب الطبيب أن يرعى المريض ويعين الطبيعة في عملها.¹⁷ كما عمل على نفي الاعتقاد السائد من أن الأمراض ترسلها الآلهة، خاصة ما كان يسمى بالمرض المقدس، ويقصد به الصرع. ويرى بأن جميع الأمراض طبيعية، وفي هذا يقول: >>ها أنذا أبدأ ببحث المرض المعروف "بالمقدس". وليس هو، في رأيي، أرقى في الألوهية أو القداسة من سواه من الأمراض، بل له سبب طبيعي. <<¹⁸ بآراء كهذه يكون أبقرط صاحب الفضل في تحرير الطب من الشعوذة الدينية والآراء الأسطورية. وبهذا يكون للإغريق في فترتهم الأولى، الفضل في تخليص معارف الشرق من جوانبها السحرية، وصلاتها بالعمل المباشر. فانفصلت المعرفة لأول مرة عن التجربة اليومية، التي يراد بها النفع العاجل. فإذا كان تراث الشرق في نظرهم ضرب من التجربة، فإن علومهم وفلسفتهم هي المعرفة. ومن هنا يتضح الفرق الواضح بين صاحب النظر وصاحب العمل.¹⁹

فالتبيب البارع عندهم هو الذي يستطيع أن يكون فكرة عامة عن المرض في عهده الباكر. ويتمكن من أن يستشف الأخطار (الأيام الحرجة) فيعمل على تقوية إرادة المريض كي يصمد لها.²⁰ إن المعرفة العلمية للطب عند اليونان، لم تمنعهم من وضع قواعد أخلاقية تعمل على توجيه، ومراقبة الطبيب، سواء في عمله أو في علاقته مع المريض. وهو مضمون كتب واجبات الأطباء. ومنها كتب الواجبات المهنية. ككتاب القسم، كتاب القانون، كتاب اللبقة، كتاب النصائح، والفصل الأول من كتاب الطبيب. وأحسن مثال يمكن أن أقدمه في هذا الشأن، ما يعرف بقسم أبقرط، وهو أقدم النصوص، وأهمها، الخاصة بواجبات الأطباء، وهو بمثابة ميثاق Syngraphe أو يمين كان الطلاب المتدربون يحلفونها قبل أن يقبلوا كأعضاء في النقابة أو جمعية الأطباء الكوسيين، وفيها يتعهد المتدرب أن يعامل أبناء الأستاذ، كما لو كانوا إخوته، وأن يشرك أستاذه في الرزق، ويساعده إذا دعت الحاجة إلى ذلك وأن يعلم أولاده دون مقابل أو قيد، كما يعلم أولاده هو وقليلًا من الطلاب الذين أقسموا. وهذا دليل على احتكار هذه المهنة.²¹

إلى جانب القسم، يقدم أبقرط مجموعة كبيرة من النصائح للطبيب، نجدها ضمن مؤلفات الحكيم في قوله: >>ألح عليك أن تكون بالغ الجفاء، بل خذ بعين الاعتبار—جديا—موارد مريضك القليلة أو الكثيرة. أمنح خدمتك بغير

Natura، ترجع أصوله إلى معنيين: الميلاد Naitre والنمو Croître وهي عند أنبذقليس تعني الميلاد Naissance والتوليد أو الإنشاء Génération. ينتج من هذا المفهوم اتجاهان إحداهما فلسفي خالص، والآخر أخلاقي. ومن كلمة فيزيس ركبت كلمة "فيزيولوجيا" والتي تعني علم الطبيعة، والمقصود طبيعة الإنسان.¹⁴ لقد اعتمد أبقرط في نظريته في الأخلاط والأمزجة، على نظرية يونانية طبيعية، هي نظرية العناصر الأربعة التي ترجع إلى الفيلسوف إمبردقليس Empédocle، الذي أشرت إليه من قبل. وكان هو كذلك طبيبا ومؤسسا لمدرسة صقلية الطبية. كما نجد عند متأخري الفيثاغوريين النظرية الأمبادوقلية في العناصر الأربعة مرتبطة بالأضراس وهي: الحار والبارد، والرطب واليابس.¹⁵

ترتكز النظرية الأبقراطية على فكرة الأركان أو العناصر أو الاسطقسات الأربعة وهي: النار، والهواء، والماء والأرض أو التراب، ولكل منها صفة خاصة بها. فقد كان التشخيص والعلاج في الطب القديم مبنياً على هذه الأخلاط الأربعة "البلغم، المرة الصفراء، المرة السوداء، الدم". وعلى الأمزجة "الحرارة، الرطوبة، البرودة، اليبوسة". وجعلوا الغالب على كل خلط منها طبيعة، فجعلوا طبيعة الدّم طبيعة الهواء التي هي الحرارة والرطوبة، وطبيعة المَرّة الصفراء طبيعة النار التي هي الحرارة واليبوسة، وطبيعة المَرّة السوداء طبيعة الأرض التي هي البرودة واليبوسة، وطبيعة البلغم طبيعة الماء التي هي البرودة والرطوبة.¹⁶

لقد كان أبقرط شديد الرصانة كثير التحفظ بالغ التواضع، وكانت وسائل العلاج لديه قليلة النفع وقد كان على علم بذلك. واستعمل منها الكثير في علاج مرضاه: من المسهلات، المقيئات، المنعشات، المحيضات، والحقن الشرجية والجلدية، والقصد، المسكنات، والحمامات، والفرك والتدليك، ووضع حساء الشعير وأنواع كثيرة من النقيع Tisane. إن استعمال عبارات مثل: (قوة الطبيعة الشفائية) دليل على اهتمام أبقرط بالطب الوقائي أكثر من وصف العقاقير، وهو أسلوب التعامل مع المرض في طب اليوم-فكرة قوة الطبيعة الشفائية تعبر من جهة أخرى عن فكرة أساسية في التعليم الأبقراطي، وهي في التعبير الطبيعي الحديث: "أن العافية حالة من التوازن المستقر، والعلّة تصدع في ذلك التوازن، وحيث لا يكون التصدع بالغ العمق، لا يلبث التوازن أن يستعيد مكانته من تلقاء نفسه. فينبغي، أن يوفر للمريض من الراحة الجسدية وهدوء النفس ما يتسنى

مقابل أحيانا، ذاكرا إحسانا سابقا أو رضا تناله في الحال. وإذا عرضت عليك فرصة لخدمة غريب معسر فأبذل معونتك لكل من هذه الحالة. وحيث يكون الحب الإنساني يتجلى أيضا حب الفن نفسه. ذلك لأن بعض المرضى، وإن كانوا على علم بخطورة حالتهم، يستعيدون العافية بمجرد شعورهم بعطف الطبيب. من الخير أن نراعي المرضى لكي يظفروا بالشفاء، وأن نعتني بالأصحاء لتدوم العافية. وينبغي أن يعتني المرء بأمر نفسه، فيلزم ما هو لائق به. <<22

أما في مرحلة القمة من العهد الإغريقي الجديد، في عهد أرسطو فقد كانت فترة إحياء للعلم وكان الطب آنذاك هو المهنة اليدوية الوحيدة المحترمة، وربما هذا أحد العوامل التي مكنته من السير على منهج علمي سليم في مدرسة الأبوكراتيين. وبعد دراسته للفلسفة الأفلاطونية طيلة ثلاثين عاما، أنشأ أرسطو اللوقيون²³ Lyceum وكرس جزءا هاما من حياته للبحوث البيولوجية فوصف خمسمائة نوعا من الحيوان. وعليه، تدرج العلوم الطبيعية منذ عهد أرسطو ضمن الفلسفة، وقد ظلت كذلك إلى بدء انفصال العلوم عنها. إن العلم الطبيعي في نظر أرسطو هو العلم الذي يتعلق بالمادة أو الأجسام الحية، لأن الجسم الحي موجود، متحرك، بالنمو والنقصان. ومن ذلك أعتبر الطب الذي يبحث في صحة الجسم الإنساني ومرضه فرعاً من أهم فروع العلم الطبيعي، وهذا الأخير فرعاً من فروع الفلسفة.

(ب) الممارسة الطبية الأخلاقية عند المسلمين

عوامل كثيرة جعلت من العلم ينشأ في العالم العربي الإسلامي من شروط ثقافية مواتية وسماحة الدين الجديد، الإسلام، وبساطته واعتداله، ومرونة اللغة العربية. ببساطة لقد كان العلم القديم في حاجة إلى حاضنة ثقافية جديدة يفرخ من خلالها في ظل أوضاع جديدة.²⁴ لقد كان للطب الإسلامي فلسفته، فلسفة تستند إلى تصور كامل لطبيعة الجسد الإنساني، ليس فقط تشريحيًا بل تتعداه إلى توضيح العلاقة الوطيدة بينه وبين عناصر الوجود من حوله.²⁵ وهذا لا يدفعنا إلى نكران ما لليونان من تأثير على المسلمين وعلى حضارتهم فالفلسفة الإسلامية فلسفة متأثرة بالفلسفة اليونانية حتى أصبحت مشابهة لها، في أصولها ومبادئها، لكن متباينة معها في المقاصد والغايات.²⁶

تُميز الطب العربي الإسلامي أربعة مبادئ (التوحيد، الاعتدال، الغائية، الإنسانية).

التوحيد: عقيدة المسلمين تبنى على أن الله واحد، وهو الحقيقة، وأن الوصول إليه يكون عن طريق المعرفة ووسيلتها العلم. كما تبنى على أن الهدف من كل الأعمال هو مرضاة الله تعالى والفوز بالجنة عن طريق العمل الصالح وفعل الخير. والطب من الأعمال الصالحة وأفعال الخير، لأنه يخفف من آلام البشر وأمراضهم. من جهة أخرى، ينظر الطب للإنسان نظرة شمولية. فالطب لدى كثير من علماء الدين، نذكر منهم الإمام أبو حامد الغزالي، هو من العلوم التي هي فرض كفاية المحمود، لأنه علم لا يُستغنى عنه في قوام أمور الدنيا، فهو ضروري في حاجة بقاء الأبدان. فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء، وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه. فلا يجوز في نظر أبي حامد الغزالي التعرض للهلاك بإهماله.²⁷

الاعتدال: ويقصد به التوازن بين الحياة والصحة الجسدية والحياة الروحية، التي تؤمن للإنسان انسجاما بينه وبين بيئته، وهذا ما يؤدي إلى السعادة. يقول ابن سينا²⁸ (980-1037م) في كتابه "القانون في الطب": <<إن المعتدل الذي يستعمله الأطباء في مباحثهم مشتق من العدل في القسمة، وهو أن يكون قد توفر فيه على الممتزج بدنا كان بتماحه، أو عضواً من العناصر بكمياتها وكيفياتها، القسط الذي له في المزاج الإنساني إلى أعدل قسمة ونسبة>> ويقول كذلك: <<إن الله جل جلاله أعطى الإنسان أعدل مزاج ممكن أن يكون في هذا العالم>>²⁹ والاعتدال هو حال الصحة. أما المرض فهو فساد الاعتدال، واختلال التوازن، بحيث أن أحد الأخلات الأربعة يزداد حتى يطغى على البقية فيكون المرض. وتكون المعالجة برد الاعتدال.

الغائية: وتعني أن هناك حكمة في خلق كل مخلوق. وقد كان جالينوس Gallien يؤمن بهذه الفكرة بالرغم من أنه كان وثنيا. ولذا أعجب به المسلمون ولقبوه بالفاضل. يؤمن المسلم بأن دراسة ال تزيد إيمانا تماشيا مع قوله تعالى "صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٨﴾" [الروم: 28]. ولذا يقول ابن رشد: <<من اشتغل بالتشريح أزداد إيمانا>>³⁰

الإنسانية: من مظاهرها احترام الوالدين والمسنين، اليتامي، أبناء السبيل، وعلى احترام الفقير ومساعدته، وعلى احترام الأديان السماوية والتسامح مع المؤمنين. ومن نتائج هذه الإنسانية إقامة المستشفيات الكثيرة، ودور التعليم الطبية، بناء الميآتم ودور العجزة. فالطب ليس علما فقط بل

والتحدي الناتج عن ذلك التطور المذهل الذي شهده العلم في الآونة الأخيرة هو دليل على ذلك. ويبدو أن ما حصل هو في الحقيقة عكس ما كان حاصلًا في القرن الماضي، حين كانت بعض النزعات في أوروبا تنادي بتأسيس الأخلاق على العلم. وذلك من خلال إثارتها لمشكلة قديمة، وهي "مشكلة أساس الأخلاق"، ومحاولة الإجابة عن السؤال: علام تستند القيم الأخلاقية في مشروعيتها؟

إن المقصود بالأخلاق هنا ليست تلك العادات والأعراف أو ما يصدر عن الطبيعة البشرية بل المقصود بها هنا الخير والشر، وما يتفرع عنهما من قيم تشكل الضمير الخلقي الفردي أو الجمعي.³⁵ ما يهمنا هنا هو أن الأخلاق ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفلسفة، بل كانت في مرحلة معينة تعني إحداها الأخرى. حتى أن الفيلسوف هو الحكيم والحكمة قيمة أخلاقية، وهي خير. لقد اتسع مفهوم الأخلاق بحيث أصبحت لا تستند إلى دعامة صورية بل غدت إرشادًا أو اختيارًا معززا بالواقع وتتعلق أكثر بالعلوم.³⁶ لقد بدأ التساؤل فيما إذا كان العلم مؤسسة تعمل لصالح الفرد والمجتمع، أم يحمل تأثيرًا سلبيًا على حياة ومستقبل الإنسان ومن هذه التساؤلات، نشأ نوعان من الأخلاق: أخلاق الثقة وأخلاق الخوف. أما أخلاق الثقة، فهي ناتجة عن تطور العلم الذي يقدم للإنسان في كل مرة مختلف الوسائل التي تخفف عنه متاعب الحياة، والأكثر من هذا، الارتقاء به إلى المستوى الحضاري، وبالتالي تخليصه من الوحشية والهمجية التي كان يتصف بها. أما أخلاق الخوف، فهي ناتجة عن الآثار السلبية التي يمكن أن يحدثها التطور العلمي، والأكثر تأثيرًا منها البيولوجي والطبي.

إن العالم منشغل بالتقنية وبتطبيقاته، وهذا يجعل منه قليل التساؤل حول ما يمكن أن ينجم في المستقبل عن القرارات التي يتخذها. إنه متقوقع في مجال القضايا التي تحتاج إلى السرعة في الإنجاز، وليس في مجال نظرية القيم نفسها، حتى تكون له لغة أكثر فلسفية.

في هذا الصدد يعتقد الفيلسوف الفرنسي داغوني أن للفلسفة، اليوم أهمية خاصة أكثر من أي وقت مضى. لأنها تهتم بالمستقبل، تهتم بما تعده العلوم. وهذا يصدق أكثر على البيولوجيا، أين نجد القلق الأكثر، من أي ميدان آخر. إن العالم لا يستطيع تقرير ما ينبغي فعله، أو ما لا ينبغي، فهو لا يحترق في مجال القيم. إنها مهمة الفيلسوف متمثلة في صنع نوع من التفكير حول البيولوجيا Une Bio réflexion، أو

هو طريقة من طرق الموصلة إلى الحقيقة الأزلية. أي إلى الله. وهو نوع من أنواع العبادة وضربا من ضروب الجهاد. إن من دواعي اهتمام المسلمين بالطب على وجه الخصوص، حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك. ففي مسند الإمام أحمد، من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك، قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم، وجاءت الأعراب، فقالوا: يا رسول الله، أنتدأوى؟ فقال نعم يا عباد الله، تداؤوا: فإن الله لم يضع داء، إلا وضع له شفاء، غير داء واحد. قالوا: ما هو؟ قال: الهرم.³¹ وقوله كذلك: >> العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان. << وعلم الأبدان هنا، هو الطب.³²

وليست وظيفة الطب في رأي أطباء الإسلام أكثر من تقديم العون على تحقيق ذلك المتوازن في حالة اختلاله ليعمل الجسم بصورة سليمة. ومما يستوقف النظر بعد هذا، إعلاء المسلمين من شأن علم الطب، أن انشغل به معظم الفلاسفة والعلماء المسلمين سواء من المغرب أم من المشرق. فهذا ابن رشد القرطبي³³ الذي أشتهر بالطب من خلال مؤلفه "الكليات". وفي سنة 1182م استدعاه الخليفة أبو يعقوب إلى مراكش وجعله على رأس أطبائه، وقد وصفه ابن الأبار بقوله: >> كان يفرغ إلى فتواه في الطب كما يفرغ إلى فتواه في الفقه <<³⁴. لكن الملاحظ هو أن الأخلاق الطبية على العموم كانت تستمد قواعدها من العقيدة الدينية لدى المسلمين وقد ظلت كذلك عند المسيحيين، ولكن النزعة العلمية التي ظهرت في أوروبا غيرت المفاهيم والقيم، بما في ذلك العقائدية.

3- بينا ليدانطولوجيا Déontologie والبيواطيقا

Bioéthique

أثار التطور العلمي والتكنولوجي، في جميع المجالات خاصة منها البيولوجية والطبية، تساؤلات فلسفية حول القيمة الأخلاقية للتقنيات والتطبيقات العلمية بشكل عام والطبية البيولوجية بوجه خاص. دفع الفلاسفة الذين يمكن أن نسميهم فلاسفة أخلاقيين Philosophes Moralistes، إلى وضع قواعد أخلاقية تقترب أكثر من الواقع. تعمل على حل المشكلات التي يواجهها المجتمع. يترتب عن هذا، ظهور الأخلاق بمظهر جديد وبطبيعة جديدة من خلال اتصالها بالواقع جعل منها أخلاقًا عملية Ethique appliquée.

لقد كانت دعوة بعض الفلاسفة والعلماء إلى إخضاع العلوم ومنتجاته إلى القيم والمعايير الأخلاقية، مظهرًا من مظاهر "عودة الأخلاق" على حد تعبير محمد عابد الجابري، فالتساؤلات ذات الطابع الأخلاقي، المتولدة عن الإحراج

نحاول تحويل هذه الكلمة إلى اللغة العربية ، والتي تستعمل للدلالة على "أخلاقيات الطب وعلوم الحياة"، أو أخلاق حياتية. وحين نحولها إلى اللغة الفرنسية تصبح Ethique médicale et des sciences du vivant ou de la vie³⁸ نشر هنا ، أن الدكتور محمد عابد الجابري ، قام بردها إلى العربية بالإبقاء عليها كما هي أيبيواطيقا.

إن كلمة أخلاق في معجم دومنيك لوكور Dominique Lecourt تستعمل عند القدامى كوسيلة بها نحكم ونميز الأفعال الخيرة من الأفعال الشريرة. أما مع كلمة Bioéthique فإن الأمر يتعلق بكلمة مولدة (جديدة) استعملت لأول مرة في سنة 1970م من طرف الطبيب الأمريكي المختص في مرض السرطان فان رانسيلر بوتر Van Rensselaer Potter في مقالة بعنوان: "البيواطيقا علم البقاء" Bioethics, the Science of Survival وأعاد الحديث عنها في كتابه البيواطيقا جسر إلى المستقبل Bioethics bridge to the future. فهو لا ينظر إلى البيواطيقا على أنها أخلاق الطب ، أو على أنها أخلاق البيولوجيا ، ولكنها بمثابة أخلاق تأخذ بعين الاعتبار الارتباطات أو العلاقات الموجودة بين الكائنات الحية.

إن كلمة البيواطيقا تعني اليوم ، فضاء متميزا للنقاش الأخلاقي يضم كل الشرائع. حول توجهات البحوث الطبية والتطبيقات العلاجية التابعة لها. هذا الفضاء للنقاش يكون قد شجع على بروز مجال معرفي ، تتداخل فيه مختلف النشاطات والذهنيات ، وهو دلالة على تعقيد المسائل المطروحة في هذا الصدد. كما أنه تسبب في وضع مجموعة من الحدود والقوانين التي تسمح بتنظيم الممارسة الطبية والعلمية بشكل عام ، ولما لا تكون واحدة من رهانات الفلسفة القادمة.³⁹ فكيف ما كانت معاني البيواطيقا ، فإن التفكير في مجال البيولوجيا ، كثيرا ما يصطدم بتنوع القيم التي تميز المجتمعات ذات القيم المتنوعة.⁴⁰ من ناحية أخرى يمكن التساؤل عن الأساس في مقابلة المعين القبلي bio بكلمة Ethique؟. هذه دلالة على أن هناك نسيانا تاما لتقاليد الطب وهذا النسيان لا يخلو من الخطر. لكن يوم ارتباط هذه الكلمة (إيتيك) بكلمة (بيو). يعني تحول كلمة أخلاق إلى تخصص معرفي ، أو نظام جامعي ، أو عمل الخبراء.

حتى تقترب أكثر من معنى كلمة Bioéthique والمحاطة بكثير من الغموض ، لا بد أن نعي تمام الوعي ، أن الكلمة هي في الصميم تقنية لحسم الصراعات Techniques

بسط نوع من النفوذ خاص بالبيولوجيا Un Biopouvoir التي تخبرنا بها هو مسموح به ، وبما هو غير مسموح.

إن مبدأ الاحتياط له قيمة في الفلسفة ، في مجال الحياة.³⁷ ولذا نجد أن من أهم المجالات التي أثرت فيها هذه التساؤلات. مجال البيولوجيا والطب لما لهما من تأثير على حياة الفرد والمجتمع من جهة ، والمفاهيم التي تقدمها حول الإنسان والحياة والموت من جهة أخرى. وهي مفاهيم كانت ولا تزال تشكّل محور نقاش فلسفي حاد. ولعل من بين هذه المفاهيم الجديدة ، تلك التي تتعلق بالبيواطيقا. أو ما يطلق عليه في اللغة الفرنسية لفظي BIO-ETHIQUE وقبلها مفهوم الديانطولوجيا (أخلاقيات الطب). DEONTOLOGIE.

لقد كان لأخلاقيات الطب وجودا سابقا عن البيواطيقا ، وهذا ما أشرت إليه من قبل عند الحديث عن الضوابط الأخلاقية الطبية في الحضارات القديمة. واليوم نفس الشيء نلاحظه في كل المجتمعات ، أي القواعد والآداب العامة المنظمة للممارسة الطبية. لذلك يمكن القول دون أدنى شك أن مصطلح البيواطيقا Bioéthique لم يكن له وجود قبل الثورة البيولوجية والتطورات التي شهدتها هذه الأخيرة ، والتقنيات الطبية الجديدة التي أصبحت في كثير من الأحيان تهدد بشكل مباشر أو غير مباشر الكيان الإنساني ، وكل ما يحيط به. ولذا يعتبر هذا المصطلح جديدا ، طبعا بعد تمييزه عن الأخلاق الطبية Déontologie.

إن التخصص في مجال الأخلاق من الأمور التي لا يمكن ضبطها ، لأننا نعجز تماما عن وضع معايير للمتخصص في مجال الأخلاق ، وبالرغم من ذلك فإن المفكرين المعاصرين يعتقدون أن فكرة التطور في مجال الأخلاق يمكن تحقيقها بتوفر قدر كاف من القدرات الذهنية التحليلية والاستقامة في استيعاب المفاهيم المجردة. ولكن تراكم المعرفة يثير تساؤلا فيما إذا كان التحدي في مجال الأخلاق يكمن في عدم استيعاب هذا التراكم المعرفي ، أم في الاستعداد السليم الذي يتمثل في أن كل معرفة تعيننا على الامتثال لما نمتلكه من قبل وهو الضمير الخلفي؟ بهذا فإن مجال البيواطيقا ، ليس مجرد معرفة بل هو مؤسسة منظمة في إطار النمو.

هذا الأمر يزيد صعوبة في تكييف مفهوم (البيواطيقا). مع مختلف اللغات والأنماط الثقافية. فإذا كان محتوى هذه الكلمة من الصعب احتواؤه أو الإحاطة به في اللغة الفرنسية أو الإنجليزية ، فالصعوبة تكون أكثر حين

يؤسس مفهوم البيواطيقا مقارنة أصيلة للواقع البيولوجي والطبي وهذا يؤدي إلى تعدد تعاريفها (البيواطيقا).⁴² لقد كان ظهور البيواطيقا نتيجة الملاحظة ما يتعرض له المرضى وأشخاص آخرون من تجارب طبية، ومن خلال الأمثلة التي قدمها هنري بيشر⁴³ Honry Beecher عرض فيه نماذج من التجارب التي كانت تجرى على الأشخاص والمدعمة من طرف الدولة الألمانية آنذاك (برامج سرية). ابتداء من ذلك الحين أصبحت تعرض على المواطنين نماذج أكثر خطورة ممن يتعرضون للتجارب العلمية والطبية خاصة. مكن هذا من إطلاع الرأي العام على مختلف التجارب اللإنسانية التي كانت تجرى على مستوى المراكز الإستشفائية والتي كانت تسبب في مأساة بالنسبة للأشخاص أو العائلات أو المجتمع. في الأول كان الاهتمام موجها إلى المعاملة اللإنسانية، وليس إلى عدم احترام حقوق المرضى والمجرب عليهم. لكن الأمر تحول إلى نقاش حول القيمة الأخلاقية للممارسات العلمية الطبية على وجه الدقة.

وبهذا يكون أول دافع لظهور البيواطيقا هو التطبيقات البيولوجية الطبية اللإنسانية. أما الدافع الثاني فيتعلق بالاهتمامات والتساؤلات الجديدة التي يطرحها التطور الطبي والبيولوجي. وهذا أدى إلى الشك في كل الأفكار التي بنيت وبشكل تام، حول الحياة والموت والكائن الحي الإنساني. وهي من غير شك من أهم المسائل الفلسفية في تاريخ الفلسفة.⁴⁴ إن آثار الاختراعات، ينبغي أن تؤخذ إذن بعين الاعتبار من طرف الفيلسوف. حتى يتم وضع تصور وخلق مستقبل أفضل، وذلك باحترام القيم الأساسية، وهذا يبين من دون شك أن مفهوم الأخلاق قد تغير بفعل هذا التطور، فلو تأملنا مسألة التقييم الأخلاقي للتقنيات. لوجدنا فيه تلك الدعوة إلى ربط الأخلاق بالواقع كدعوة ربط الفلسفة كذلك بالواقع.

4- أخلاقيات الطب في الجزائر

في الجزائر مثلها مثل كل الدول، وفي مجال الممارسات الطبية يوجد ما يسمى بأخلاقيات مهنة الطب Déontologie Médicale وهي مجموعة القواعد التي تضبط الممارسة الطبية أخلاقيا، بحيث تحدد طبيعة العلاقة بين الطبيب والمريض، بين الطبيب والطبيب أخلاقيا وقانونيا. لذلك كان الطابع العام لهذه القواعد جزائي، عقابي إن صح التعبير ولا يتمتع بالبُعد الأخلاقي فحسب. ثم إن وراء هذه القواعد الأخلاقية، قواعد قانونية أخرى تتحكم فيها تابعة

de résolution des conflits ولا يمكنها أن تكون شيئا آخر غير ذلك، إنها تستعمل لحل المشاكل أو الصراعات التي تحمل قيمة، بين التقدم في مجال البيوتكنولوجيا Biotechnologiques، وقوانين حفظ الكرامة الإنسانية. إنها مجال تفاعل Interaction لمختلف النشاطات التي تجتمع حول إشكالية خاصة تضع القيم في خطر بمناسبة التطبيقات في مجال البيولوجيا. وعليه، لا يتعلق الأمر بمجال خاص، مثلما هو الحال بالنسبة للبيوكيميائي (كيمياء حيوية). كما لا يمكن فهمها على اعتبار أنها طريقة لإنشاء أو وضع القيم. إن القيم وسلم القيم، ينشأ من تأثير الثقافات والحضارات والأديان، ويكون بذلك مفهوم البيواطيقا، ينتمي إلى سجل ما هو نفعي أو ذرائعي.

ويمكن تلخيص مختلف الأسباب التي أدت إلى ظهور البيواطيقا وفرض نفسها في أمريكا:

- أولا: كمقاربة تخص جيل العصر Approche Séculaire الكل فيها يبحث عن لغة موحدة وإجابات تلاءم الجميع، بعيدة عن كل الاعتبارات الدينية، والثقافية والعرقية، ومحاولة بناء حوار عقلائي وإنساني يمثل الجميع.⁴⁵ - ثانيا: كمقاربة متناظرة (تتعلق بعدة فروع من العلم) Approche Interdisciplinaire بالرغم من أن البيولوجيين والأطباء هم المسؤولون عن هذا التطور، لكن هذا لا يعطيهم الحق في اتخاذ القرارات، تريد البيواطيقا أن تكون مقارنة لكل الأنشطة وكل العلوم، للاشتراك في البحث عن الحلول المناسبة.

- ثالثا: كمقاربة إستشرافية أو تنبؤية Approche Prospective وهذا راجع إلى تتبعها ونظرتها في أسباب التطور، وتنبؤها بالأوضاع التي يمكن أن تنجم عن تأثير هذه الأسباب.

- رابعا: كمقاربة إجمالية Approche Globale من حيث أنها تهتم بالمريض ككل، جسما ونفسا، وليس المريض فقط، بل كذلك المجتمع. فنظرتها الإجمالية تفسح المجال للجميع في المشاركة وإبداء الرأي، ووضع القواعد اللازمة والتي يتعين على كل واحد احترامها.

- خامسا: مقارنة نسقية Approche Systématique البيواطيقا لا تهتم بحل المسائل الجزئية، فهي تحليل دقيق ومنطقي يتم وفقا لمخطط، ونظام بين القضايا ذات الطابع الأخلاقي، وذلك بإرجاعها إلى مبادئ أساسية واحدة، وعليه

للقانون الجزائري، الجزائري والجنائي، لذلك نلاحظ على مستوى صياغة هذه القواعد إشارة (مثال: الرجوع إلى الوثيقة: بمقتضى...)⁴⁵

إن هذه القواعد تنظم تقنية التعامل مع المريض، أي تنظم طرق العلاج وتقنياته فقط، ولا تهتم بما نعالج أو من نعالج أو النظر في التقنيات التي نستعملها في المعالجة ومدى تطابقها مع المنظومة الأخلاقية المميزة لمجتمعنا، كما أنها تنصف بالغموض في كثير من الفقرات 24-25 وكذا 33-35 وأخرى تتعارض مع الممارسة الطبية. مثال على المادة 20 من الواجبات العامة: «يجب ألا تمارس مهنة الطب وجراحة الأسنان ممارسة تجارية، وعليه يمنع كل طبيب أو جراح أسنان من القيام بجميع أساليب الإشهار المباشر أو غير المباشر». قاعدة غامضة إذا ما حاولنا مطابقتها بواقع مهنة الطب، والمقابل الذي يدفعه المريض. ربما هذا الذي دفع إلى التفكير في استكمال هذه القواعد وذلك من خلال تنصيب ما يسمى بالمجلس الوطني للبيوأخلاقيات: ماهي مهمته؟

استحدثت الجزائر مشروعا تمهيدا للقانون المتعلق بالصحة خاصا بالمجلس الوطني للبيوأخلاقيات ومجالس وطنية وجهوية ومحلية، مهمتها معالجة المشاكل التي تطرح أثناء ممارسة مهنة الطب. ويوضح نص المشروع في الباب المتعلق بالأخلاقيات والأدبيات والبيوأخلاقيات أنه يتم استحداث "لجنة وطنية للبيوأخلاقيات" تعمل لدى الوزير المكلف بالصحة. وتكلف هذه اللجنة حسب المادة 351 من المشروع بـ"تقديم آرائها وتوصياتها حول المشاكل المعنوية التي تطرح أثناء ممارسة المهنة والبحث العلمي وتطبيق التكنولوجيات في مجالات علم الأحياء والطب والصحة التي يكون موضوعها الكائن البشري"⁴⁶.

أما عن سير هذه اللجنة وتنظيمها فقد أحال مشروع القانون الأمر إلى التنظيم. وتتعلق البيوأخلاقيات بمجموع "التدابير والأنشطة المتصلة بالتبرع وبنوع الأعضاء والأنسجة والدم البشري ومشتقاته، وبالمساعدة الطبية على الإنجاب وبالبحث في مجال طب الأحياء". كما نص مشروع القانون على استحداث مجالس وطنية وجهوية ومحلية للأدبيات الطبية، ويتعلق الأمر بالمجلس الوطني، الجهوي والمحلي للأطباء والمجلس الوطني الجهوي والمحلي لجراحي الأسنان وكذا المجلس الوطني، الجهوي والمحلي للصيادلة. وحسب نفس المصدر، تتولى هذه المجالس إنشاء جهاز تنسيق وتحديد نظام المجالس الداخلي. وتضطلع "المجالس الوطنية

والجهوية والمحلية لأدبيات المهنة في كل ما يخصه بالسلطة التأديبية والبث في المخالفات المتعلقة بقواعد الأدبيات الطبية" حسب المادة 361 من نفس النص⁴⁷. في الحقيقة لسنا بحاجة إلى عرض كل وقواعد والمراسيم التي جاءت في الوثيقة، لكن المتأمل فيها، أي في هذه القواعد والأهداف التي وضعت من أجلها، يعثر على نوعين من القواعد:

- إحداها تضبط الممارسة الطبية، أي مهنة الطبيب وتعرض للمخالفات الصادرة عن الطبيب أثناء أدائه لوظيفته، وهو الإجراء المطابق لوظيفة مجلس أخلاقيات الطب في الجزائر.

- قواعد تتجاوز وظائف المجلس ومهامه، حين تحاول رسم خريطة توضح من خلالها مجموعة التدابير والأنشطة المتصلة بالتبرع بنوع الأعضاء والأنسجة والدم البشري ومشتقاته، وأحكام حول التقنيات الطبية وغيرها.

هذه الأخيرة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون من مهام مجلس أخلاقيات الطب، سواء من خلال مفهوم أخلاقيات وآداب مهنة الطب المعمول بها عالميا، والتي أشرت إليها من قبل، أو من خلال وظيفة هذا المجلس قياسا على ما هو معمول به في مختلف أنحاء المعمورة.

إذن، إذا كانت مهمة مجلس أخلاقيات الطب في الجزائر هي التوجيه الأخلاقي لمهنة الطب، أي ضبط العلاقة بين الطبيب والمريض، العلاقة بين الأطباء، بين الطبيب والإدارة، مع طبيعة قواعده الأخلاقية والقانونية وهنا نشير إلى الطابع الجزائري والجنائي الذي يضبط هو كذلك مهنة الطب، ويعرض الطبيب إلى وضعيات جزائية وجنائية عقابية إذا تسبب فيها بخل بهذه المهنة، وآدابها. فمن يتولى، إذن، توجيه الشرط الثاني أي مجموعة التدابير والأنشطة المتصلة بالتقنيات الطبية؟ والتي يمكن أن نذكر منها؟

- التبرع بالأعضاء وزرعها Donation et greffe d'organes

- تقنيات الإخصاب الصناعي بجميع أشكاله Insémination artificielle

- التشخيص القبولادي Diagnostique prénatal

- الموت الرحيم Euthanasie

- الإجهاض Avortement

- الاستنساخ Clonage بجميع أشكاله، وغيرها من التقنيات سواء التي نعرفها أم تلك التي لا نعرفها.

الشرائع الاجتماعية حول التقنيات الطبية المستجدة. قد يقال لنا بأننا لا نملك ناصية العلم البيولوجي والطبي، وبالتالي لا يمكن أن نشكل طرف نقاش في هذه المسائل، ونقول لهؤلاء إننا معنيون بهذه التطورات التي تحدث في العالم، ومستعملون لكل التقنيات المستحدثة، حتى إن لم تكن طرفا في استحداثها، وبالتالي من حقنا تكييف هذه المستجدات في مجال البحث والعلاج مع نمط حياتنا ومع منظومتنا الأخلاقية والدينية والقانونية والاجتماعية.

5- البيواطيقا في تونس والجزائر

إن القصد من هذه المقارنة البسيطة هو بيان أسبقية البلد المجاور (تونس) لبلدنا (الجزائر)، في وضع إطار أخلاقي أكثر سعة وشمولية، من خلال استحداث مجالس وطنية للبيواطيقا Bioéthique، يضاف إلى مجالس أخلاقيات وآداب مهنة الطب Déontologie. وهو دليل على التفكير الدقيق في المسائل المتعلقة بالمرض والصحة، وما يتصل بهما من بحوث في المجال التقني البيولوجي، للأسف الشديد، لانعثر في الجزائر على هذه الصورة، وهذه الكيفية في التعامل مع القضايا سائلة الذكر. يُظهر المثال التالي هذه الحقيقة:

في تونس هناك لجنة وطنية للأخلاقيات الطبية Comité National d'Ethique Médicale ويتضمن الفصل الأول: من الأمر المؤرخ في 1994، تحديدا لوظيفة هذه اللجنة قائلا: "تمثل مهمة اللجنة الوطنية للأخلاقيات الطبية في إبداء الرأي بشأن المشاكل الأخلاقية التي يثيرها البحث في ميادين البيولوجيا والطب والصحة سواء كانت هذه المشاكل تهم الإنسان أو المجموعات أو المجتمع بأسره".

- وتنكب اللجنة كذلك على وضع المبادئ الكبرى التي تمكن من التوفيق بين التقدم التكنولوجي في الميادين المبنية بالفقرة السابقة والقواعد الأخلاقية والقانونية والقيم الإنسانية وحقوق الإنسان والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي".

- الفصل الثاني: من الأمر 1994: "تتولى اللجنة في إطار صلاحياتها تنظيم ندوة سنوية تتناول علنا المسائل الهامة المرتبطة بالأخلاقيات الطبية".

- الفصل الأول من الأمر 2001: "كما يمكنها تنظيم ملتقيات وأيام دراسية ذات مواضيع لها علاقة بالأخلاقيات الطبية".

- من ضمن مهامها أيضا التحسس للمسائل المعنوية والأخلاقية والإعلام وهذا في إطار الحلقات المفتوحة بمشاركة

يتميز الطب في عصرنا الحاضر بالتقدم السريع وربما غير المنضبط في تقنياته وممارساته، مما يفرض على الطبيب ضرورة النظر في الجوانب الشرعية والأخلاقية والعلمية والاجتماعية لما يستجد من تقنيات وممارسات طبية، ويجب أن يتم ذلك من خلال الضوابط التالية:

- أن يتأكد لدى الطبيب سلامة الممارسة الطبية من كل النواحي، الشرعية والأخلاقية، والقانونية، والعلمية والاجتماعية وغيرها من الضوابط. فإذا تأكد عدم توفر دراسة تامة من جميع النواحي لتلك الممارسة، فعليه أن يتريث حتى يحصل على ذلك، بل أن يسعى إلى الحصول على ما يسمح له بتلك الممارسات.

- أن يثبت لدى الطبيب الفائدة العلمية للممارسة الطبية، وأن يترجح لديه سلامتها وعدم إضرارها بالمريض. - أن يترجح لدى الطبيب أن الممارسة الطبية تحقق مصلحة المريض، دون النظر إلى مصلحة الطبيب الخاصة، أو مصلحة المرضى الآخرين.

- أن يعلم المريض أو وليه إذا كان قاصرا بهذه الممارسة، خاصة إذا تمت لأول مرة.

- أن يراعي الطبيب القواعد والأنظمة الناتجة عن المستجدات فيما يتعلق بالممارسة والتقنيات الطبية المختلفة.

بالنظر إلى هذه الضوابط وأخرى كثيرة ليس بوسعنا ذكرها كلها في هذا المقام، يمكن الجزم بأن الطب ليس مهنة بل رسالة. "فأنت كطبيب ليس لك أن تفكر أنك صاحب مهنة، بل عليك أن تفكر أنك صاحب رسالة، وأن إنسانيتك هي في احتضانك لإنسانية هذا الإنسان معك"⁴⁸. ومعنى ذلك إن الطبيب ومن خلال امتلاكه لآليات حماية الحياة، فهو مسؤول عنها وعن إنسانية الآخر، لذلك أن تكون طبيبا في دائرة الأخلاق يعنى أن تعيش الطب رسالة وليس مهنة.

تقتضي هذه الرسالة الإلهام بكل ما يتعلق بالممارسة الطبية، سواء من الناحية العلمية أو من الناحية القانونية، أو من الناحية الأخلاقية. وفي هذه الحالة نحن بحاجة إلى ليس مكمل بل إلى قواعد بيواطيقية Bioéthiques التي يمكن استنتاجها من خلال المناقشات التي من المفروض أن يشترك في وضعها كل الشرائع الاجتماعية، من بيولوجيين، وأطباء، فلاسفة أو مفكرين، رجال دين، علماء اجتماع، سياسيين، وحقوقيين، ولما لا الرأي العام. انطلاقا من مفهوم البيواطيقا باعتبارها حقلا ومجالا للنقاش يجمع كل

يدعوننا إلى التفكير في إنشاء مثل هذه المجالس، ليس بالضرورة على منوال البلد المجاور تونس، وإن كان هناك تقارب تاريخي وثقافي واجتماعي، بل يمكن أن نأخذ بالاعتبار كل خصوصيات المجتمع الجزائري.

خاتمة

يتضح مما سبق أن ما نطلق عليه معنى الأخلاق الطبية أو أخلاقيات مهنة الطب أو آداب مهنة الطب أو ما يسمى باللغة اللاتينية Déontologie، لا يتطابق مع مفهوم الأخلاق الحياتية Bioéthique بالرغم من أن المبحثان ينتميان لنفس السجل، أي السجل الأخلاقي أو الإطريقي بوجه عام، هذا ما يؤكد استقرائنا لتاريخ الطب، الذي يؤكد على قدم هذه الآداب. ويتواصل وجود هذه الآداب إلى وقتنا الحالي وفي جميع دول العالم وعليه إذا كانت الممارسة الطبية في الجزائر توطرها ضوابط أخلاقية قانونية، فإنها تقتقد إلى البعد الإطريقي بالمعنى العملي الواقعي والعالمي الذي يمكنها من مساهمة التطورات العلمية الطبية والبيولوجية الراهنة، وبالتالي تقتقد إلى القدرة على الحكم عليها بما يتطابق مع منظومتنا الأخلاقية، والعقيدة الدينية، والنصوص القانونية، والأعراف والعادات الاجتماعية، والتوجهات السياسية وغيرها من الأطر التي نعيش ضمنها والتي تميز المجتمع الجزائري عن غيره ببعض المعاني.

لذلك ندعو إلى إقامة مجلس جزائري للبيواطيقا Un conseil Algérien de Bioéthique، ليس كمكمل لمجلس أخلاقيات مهنة الطب، لكن كمجلس يعمل بالتوازي معه وأحيانا مستقلا عنه على الشاكلة المعمول بها دوليا. مهمته ليست مراقب العلاقة بين الطبيب والمريض ولا العلاقة بين الأطباء والعمال في هذا الحقل، ولا هي ردعية. كما أن المجلس لا يتدخل في الإجراءات العقابية إذا تطلب الأمر اتخاذها ضد ممارسي مهنة الطب أو الأعوان، بل مهمته المراقبة المستمرة لكل مستجد على الساحة العلمية الطبية والبيولوجية سواء في مجال العلاج أو الدواء أو التقنيات الموجهة إلينا، والنظر فيها بما يتطابق مع مقتضيات وضعيتنا، واتخاذ القرارات والمواقف الصحيحة والدقيقة إزاءها. إن هذا المجلس الذي ننصّره لا ينبغي أن يكون صورة طبق الأصل للمجالس السائدة في العالم خاصة منه الأوروبي وذلك بحكم التباين الثقافي والحضاري والتربوي، من جهة، ومن جهة أخرى، لا يمنع هذا من التفتح على الآخر والمشاركة في البحوث، ولها لا الإبداع.

المتخصصين: أطباء، فلاسفة، رجال دين، ممثلي الإعلام ومواطنين عاديين بغرض أخذ بعين الاعتبار وجهات نظر مختلفة القابلة للتوضيح.

الأنشطة: تشارك اللجنة بصفة فعالة في توضيح وترسيخ الأخلاقيات الطبية في جميع الميادين في المجتمع التونسي وذلك بالندوات السنوية (مفتوحة للجمهور) والآراء التي قدمتها للحكومة، الملتقيات التي نظمتها والمحاضرات التي تقدمها بمناسبة التظاهرات العلمية والتي يشارك فيها أعضاء اللجنة.

المنشورات: تنشر اللجنة وبصفة منتظمة، أشغالها التي تدرسها في مهام صلاحياتها مثل الآراء، أشغال الندوات السنوية، الملتقى الدولي حول الأخلاقيات، الملتقى المغاربي حول الأخلاقيات.

أعضاء اللجنة: تتركب اللجنة علاوة عن رئيسها:

- عشرة أعضاء (أو من يمثلهم): عمداء كليات الطب وكلية طب الأسنان وكلية الصيدلية - رؤساء المجالس الوطنية لهيئات الأطباء وأطباء الأسنان والأطباء البيطرة والصيدلة.
- اثني عشرة عضوا يمثلون المؤسسات التالية وهم: المجلس الدستوري، المجلس الإسلامي الأعلى، الهيئة العليا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية، مستشار من محكمة التعقيب، مستشار من المحكمة الإدارية، أستاذ تعليم عالي في الفلسفة وأستاذ تعليم عالي في علم الاجتماع وأستاذ تعليم عالي في القانون وباحثان مهتمان بالمواضيع الداخلة في مجال نشاط اللجنة يقترحهما كاتب الدولة لدى الوزير الأول المكلف بالبحث العلمي والتكنولوجيا، ممثل عن وزارة الشؤون الاجتماعية وشخصية من القطاع الإعلامي

- وستة شخصيات مهتمة بمواضيع الأخلاقيات الطبية يقع تعيينهم من طرف وزير الصحة العمومية⁴⁹. بذلك يكون المجموع ثمانية وعشرون عضوا على الأقل، كلهم يشاركون في النقاش حول مختلف التقنيات والمستجدات على الساحة العلمية الطبية والبيولوجية، واتخاذ القرار النهائي.

إن المتأمل في هذا المثال يدرك، من غير أدنى شك، الفارق الواضح بين التأسيس للمراقبة الطبية من خلال وضع آليات المراقبة والعقاب، وهو ما تتضمنه البنود والقوانين التي تتشكل منها مجالس أخلاقيات مهنة الطب خاصة في الجزائر، وما ينبغي أن نوفره من مجالس ذات الطابع التفكير، والتنظيري للمسائل الناتجة عن التطور العلمي في مجال الطب والبيولوجيا، مثلما هو معمول به في تونس. مما

الهوامش

1. Déontologie أو أخلاقيات الطب ، وهي الآداب العامة التي ينبغي على الطبيب التحلي بها في تعامله مع المريض أو زملائه.
2. Dominique Lecourt (Sous la direction), 2004, Dictionnaire de la pensée médicale, puf ; Paris ; France, p. 10.
3. François Dagognet, 2003, Penser Le Vivant ; L'homme, Maître de la vie ? Bordas, Paris, France, p.182.
4. يقول عنها كانغيلهم أي الصحة "هي صمت الأعضاء" Le silence des organes ويمنك استنتاج تعريف المرض والقول هو "فوضى الأعضاء" Le broui des organes
5. Georges Canguilhem, , 1998, Le normal et le pathologique, 7ème Edition, Quadrige et puf, Paris, France, p. p. 119.
- 120.
6. ول وإيريل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة ، زكي نجيب محمود ، ج 2 ، الكتاب 1 ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ص. 252.
7. حمورابي 1728-1686 ق م ، الملك السادس من ملوك الدولة الآشورية ، وهي بلاد قديمة نشأت في شمال ما بين النهرين
8. تيوقراطية Théocratie يطلق على كل نظام سياسي مبني على سلطان إلهي تمثله السلطة الروحية. - المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني بيروت. لبنان . 1978 ، ص. 369.
9. جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة ، جورج حداد وآخرون ، ج 1 ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، مصر ، ص. 199-200.
10. ول وإيريل ديورانت ، قصة الحضارة ، ج 2 ، ص. 445-446.
11. محمد عابد الجابري ، العقل الأخلاقي العربي ، الطبعة الأولى ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص. 257-258.
12. يمكن أن يكون قد ولد بجزيرة كوس سنة 460 ق م. ولذا يعرف بأبقراط الكوسي. توفي سنة 377 ق م بمدينة لاريسا Larissa .
13. جزيرة كوس Cos تقع جنوب شرق اليونان ، في بحر إيجه ، خارج ساحل تركيا وهي ثاني أكبر جزر دوديكانيزي Dodecanese حوالي 40 كم طولاً و 8 كم عرضاً. ويعتقد أنها كانت مسقط رأس أبقراط.
- جورج عفاكي ، أبقراطيين الأسطورة والتاريخ ، <http://www.alepdent.net/hippocrates.htm> ، تاريخ الدخول ، 2013/01/12
14. محمد عابد الجابري ، العقل الأخلاقي العربي ، ص. 258.
15. جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 2 ، ص. 213.
16. يمكن الرجوع إلى كتاب "مصالح الأبدان والأنفس" للكلمي أو إلى هذا الموقع <http://cupping.khayma.com/fourmix.htm>
17. المرجع نفسه ، ص. 228-229.
18. المرجع نفسه ، ص. 258.
19. صلاح قنصوة ، 1987 ، فلسفة العلم ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ص. 106.
20. جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 2 ، ص. 224.
21. المرجع نفسه ، ص. 295.
22. المرجع نفسه ، ص. 231.
23. اللوقيون Lyceum مؤسسة تعليمية ومنها كلمة Lycée ، مثل الأكاديمية التي أنشأها أفلاطون وهي واحدة من أهم المدارس الفلسفية الأربع لدى الإغريق ، إلى جانب رواق الرواقين ، وحدائق أبيقور.
24. جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ج 2 ، ص. 117.
25. أشرف العناني ، فلسفة الطب العربي ، 2014/10/25م <http://Jeeran.com>
26. جميل صليبا ، 1989 ، تاريخ الفلسفة العربية ، الشركة العالمية للكتاب ، ص. 23.
27. أبو حامد الغزالي ، 1983 ، أحياء علوم الدين ، ج 1 ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ص. 16.
28. هو بن عيين الحسن ابن سينا. طبيب وفيلسوف مسلم من أصل فارسي. طبيب للخليفة شمس الدولة. اشتهر بقوله عند يأسه من الشفاء: لقد عجز المديبر الذي يدبر بدني عن التدبير ، فلا تنفع المعالجة. من مؤلفاته في الطب كتاب القانون.
- ابن أبي أصيبعة ، 1965 ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ص. 444.
29. ابن سينا ، القانون في الطب ، الكتاب الأول (الأمور الكلية في الطب) ، حد الطب وموضوعاته ، التعليم الثالث ، ص 5 ، www.to.pdf.el-mostafa.com
30. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ص. 532.
31. ابن القيم الجوزية ، 1988 ، الطب النبوي ، ج 1 ، دار الكتب ، الجزائر ، ص. 26.
32. رحاب عكاوي ، 1993 ، موسوعة عباقرة الإسلام ، ج 2 ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ص. 12.
33. هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، ولد في قرطبة سنة 1126م ، وتوفي في مراكش سنة 1198م.
34. جميل صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص. 446.
35. محمد عابد الجابري ، 2003 ، قضايا في الفكر المعاصر ، الطبعة الثانية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص. 37-39.
36. ح. ب غريس ، 1981 ، طبيعة الميتافيزيقا ، ترجمة ، كريم متي ، الطبعة الأولى ، منشورات عويدات ، بيروت ، لبنان ، ص. 120.
37. A quoi sert La Philosophie, débat animé par, Robert Maggiori, édition de la bibliothèque d'information, Centre Pompidou, 2005, document P.D.F
- <http://www.bpi.fr/rubrique> 25/04/2015

38. Antoine Courban, « Ethique de la Bioéthique », travaux et jours, Thème d'une conférence donné à Damas, N°73, Printemps 2004. p. 77.
 39. محمد جديدي، البيواطيقا ورهانات الفلسفة القادمة، محاضرة أقيمت خلال الملتقى الدولي الثالث للفلسفة، المنعقد بالمكتبة الوطنية، الجزائر العاصمة، يومي 25-26/أفريل/2007م
 40. Dominique Lecourt, (Sous la direction), Dictionnaire de la pensée médicale, p. p. 158-161.
 41. Guy Durand, 1989, La bioéthique (Nature, Principe Enjeux), Les éditions du cerf, France? p. 23.
 42. Ibid, p.p. 24-26.
 43. هنري بيشر، نشر مقاليتين سنة 1990م في جريدة New England Journal of medicine حول التجارب اللاإنسانية مثل تقنية تبريد الإنسان التي كانت تقام في مركز التعذيب داشو Dachau بألمانيا.
 44. Hubert Doucet, Religiologique, Religion et Bioéthique, Réflexion sur leur relation Daniel Callahan, Why America Accepted Bioethics, The hastings center report, 23 novembre. Décembre, 1993-1996. <http://www.unites.uqam.ca/religiologiques>, 20/04/2015.
 45. مدونة أخلاقيات مهنة الطب في الجزائر، الجريدة الرسمية عدد 52 سنة 1992.
 46. المرجع نفسه.
 47. المرجع نفسه.
 48. محمد حسين فضل الله، 2002، الأخلاقيات الطبية وأخلاقيات الحياة، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص. ص. 1615.
 49. Composition et les modalités de fonctionnement du Comité National d'Ethique Médicale.
- 03/08/2014. <http://www.comiteethique.rns.tn/ethique/ethique.html> -